# النزعة العلمية في الترجمة العربية بين القديم والحديث

كلمات مفتاحية : الترجمة ـ المصطلح ـ الحضارة العربية

د.بوعلي كحال

كلية الآداب واللغات / جامعة البويرة ـ الجزائر

**ملخص :**
يعالج البحث موضوع النزعة العلمية في الترجمة العربية انطلاقا من الإشكالية التي أصبح يطرحها هذا الموضوع في الوقت الحالي. لقد كانت مساهمة العرب القدامى في الترجمة العلمية معتبرة والملفت للانتباه أنهم لم يصطدموا بمشكلة المصطلح في ذلك. فكيف نفسر بروز هذا المشكل في العصر الحديث مع ما للغة العربية من إمكانيات اشتقاقية وثراء معجمي؟ وإلى أي مدى استفاد العرب في العصر الحديث من المناهج الغربية في حقل الترجمة؟ وما هي المخاطر التي يمكن أن تنجر عن تعميم هذه المناهج دون مراعاة للخصائص اللغة العربية ومنظومتها البلاغية والصرفية؟

يهدف البحث إلى محاولة الإجابة على هذه الأسئلة وغيرها مع اقتراح أفكار جديدة في الموضوع انطلاقا من نظرية الترجمة الحديث التي أرسى قواعدها زمرة من الباحثين الأمريكيين مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين منهم بتر نيومارك Peter Newmark الذي عالج موضوع الترجمة بمنهجية علمية تنأى عن الإنطباعية والتعميم.

قمنا في خاتمة البحث باقتراح أفكار جديدة للخروج من مأزق المصطلحية العربية المعاصرة وذلك بتبني منهجية علمية محكمة تقوم على ركيزتين أساسيتين هما :

- التزام الدقة في نقل دلالة المصطلح.
- الحفاظ على أصالة اللغة العربية وخصائصها التركيبية والصوتية.

## A historical approach of the scientific aspect of Arabic translation

**Dr. Bouali Kahal**
**Faculty of arts / University of Bouira – Algeria**

**Keywords** : Translation , Terminology , Arabic civilisation

**Abstract :**
This paper tries to analyze the scientific aspect of Arabic translation . Through a historical background, this approach tries to study the actual preoccupation of this subject in the sphere of cultural globalism. It is worth noticing however that although the ancient Arabic scientists contribution in translation was undeniably great, they didn't encounter such difficulties. So why the problem of scientific terms arises in the domain of translation into Arabic language? This is part of what this research tries to give answer.

On the other hand this paper illustrates the negative aspects of anarchic translation of scientific terms and how Arabic language can absorb new words without transgressing its grammatical rules and structural aspects.

As a conclusion, we consider it necessary to propose some solutions that take consideration of both the quality and accuracy of terms translation and the preservation of Arabic language's original aspects.

**تحديدات أولية:**

**في تعريف الترجمة** :

فن الترجمة قديم قدم الإنسانية وأن النصوص التي عثر عليها منقوشة بلغتين على قبور أمراء سلالة فرعونية في جزيرة "إلفونتين" قرب مدينة أسوان تعود إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد[١]، ويظهر أن الترجمة الشفوية كانت أسبق في الظهور وأكثر انتشارا نظرا للحاجة الماسة إليها خاصة في التعاملات التجارية والبروتوكولات السياسية في وقت لم تكن فيه الكتابة قد تطورت بعد أو لم تكن قد وجدت أصلا. والترجمة التي نعني عموما نقل نص من لغة إلى لغة أخرى لم تكن لتطرح إشكالية من أي نوع لو لم تبرز بعض الظواهر اللغوية والثقافية بصفة عامة ذات الصلة بها. ونحن في هذه العجالة نحاول أن نحصر تلك الظواهر في عنصرين اثنين هما : بروز مجموعة من الإجراءات التي تتشابه مع الترجمة ولكنها ليست بترجمة، هذا من جهة ومن جهة ثانية بروز إشكالية "الأمانة" في الترجمة والتي تحيل في الحقيقة إلى

استحالة وجود ترجمة أدبية كاملة أو غير ناقصة.

ففيما يخص النقطة الأولى نجد من بين تلك الإجراءات التي تشبه الترجمة ما يلي:

١ــ ترجمة محددة أو ما يسمى بالإنجليزية والفرنسية(version). ولا تفرق القواميس العربية الحديثة عادة بين الترجمة وما أطلقنا عليه بالترجمة المحددة التي تختلف عن الترجمة بمفهومها العام(translation) أو (traduction)[٢]. ويكمن ذلك الاختلاف في أن الترجمة المحددة عبارة عن ترجمة خاصة بمترجم معين لمؤلف ما يكون قد ترجم عدة مرات أو أن تلك الترجمة تمت تحت إشراف شخص معين والذي ستنسب إليه تلك الترجمة على سبيل التدقيق. ومن الأمثلة على ذلك في اللغة الإنجليزية قولهم (the king James version of the bible) التي يقصد بها ( النسخة المترجمة من الكتاب المقدس تحت إشراف الملك الإنجليزي جيمس الأول)[٣] . فاستعمال لفظة (version) هنا يحيل بصفة خاصة إلى وجود ترجمات أخرى لنفس الكتاب سواء لمترجمين آخرين أو تحت إشراف أشخاص آخرين .

٢ ــ"صياغة باللغة الهدف"، أو بالفرنسية و الإنجليزية (paraphrase). ويقصد بهذا الإجراء تفسير لنص مكتوب بلغة أجنبية عن طريق إعادة صياغته في اللغة الهدف، وهو إجراء يتصف بالحرية في الصياغة ولا يتضمن الالتزام الدقيق والأمين بمحتويات النص الأصلي بقدر ما يتضمن الالتزام بالفكرة أو الموضوع الذي يتمحور حوله ذلك النص.

٣ ــ التقحرة أو بالفرنسية (translitération) والإنجلزية (transliteration)، ويعني هذا الإجراء تقل أصوات كلمة إلى أصوات في لغة أخرى، مثل قولنا (جون) كتقحرة للكلمة الإنجليزية (John). وتستهدف التقحرة على وجه الخصوص أسماء الأعلام وبعض المصطلحات العلمية.

٤ ــ الاقتباس(adaptation ): بالإضافة إلى اختلاف هذا الإجراء عن الترجمة في كونه لا يلتزم بالضرورة بالنص الأصلي في شكله الكامل فإنه أيضا قد لا يتضمن الترجمة أصلا كاقتباس

الأفلام السنيمائية عن الروايات واقتباس المسرحيات عن الروايات واقتباس الروايات عن الحكايات الشعبية وما إلى ذلك.

أما فيما يتعلق بإشكالية الأمانة في الترجمة فلا غرو إذا قلنا بأن ما أصبح يعرف بنظرية الترجمة في الوقت الحاضر إنما قام على أساس هذه الإشكالية ، بمعنى أن نظرية الترجمة في جوهرها، محاولة لتذليل العقبات التي تحول دون تحقيق الأمانة والكمال في عملية الترجمة. ولتحقيق هذا الغرض تتكئ نظرة الترجمة (theorie de la traduction) على العلوم اللغوية الحديثة وخاصة منها اللسانيات التطبيقية (linguistique appliquée) وقد تطورت نظرية الترجمة في الغرب بفضل مجهودات زمرة من الباحثين أمثال"أوجين نيدا Augene Nida " الأمريكي صاحب كتاب (البني التركيبية للغة ونظرية الترجمة The structures of language and theory of translation) وأيضا مواطنه" بتر نيومارك Peter Newmark" صاحب كتاب ( المترجم الحقيقيThe true interpreter) وأيضا كتاب ( اقترابات من الترجمة Approaches to translation) الذي سنقوم بتلخيص الأفكار الرئيسية الواردة فيه في موضع لاحق ( محور نظرية الترجمة).

– **الخلفيات الإتيمولوجية:** تشق لفظة (traduction**)** الفرنسية أو (translation) الإنجليزية من الفعل (traduire**)** في الفرنسية أو (translate) في الإنجليزية،وينحدر هذان الفعلان من الفعل ( traducere) في اللغة اللاتنية والذي يعني ( يسلم faire passer) في الفرنسية[٤] أو ينقل ( transfer) في الإنجليزية[٥]. ومهما يكن من شأن هذه الاختلافات الطفيفة في ترجمة اللفظة اللاتنية إلى الفرنسية والإنجليزية إلا أن هذه الخلفيات الإتيمولوجية في اللغات الأوربية بما في ذلك لفظة ترجمة ( Ubersetzen ) في اللغة الألمانية ، تحيل كلها إلى معنى ( النقل transfert) وهو اصطلاحا نقل نص من لغة إلى أخرى.[٦] أما في اللغة العربية فإن القواميس القديمة تعاملت بصفة خاصة مع الاسم (ترجمان) باستثناء "مختار الصحاح" للرازي. وتتفق التعريفات الموجودة في هذه القواميس على أن الترجمة هي التفسير بلسان آخر. فصاحب " لسان العرب" يقول:" الترجمان والترجمان :[٧] المفسر للسان. وفي حديث هرقل قال لترجمانه، الترجمان بالضم والفتح وهو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى أخرى، والجمع التراجم"[٨] . ويستعمل الفيروز آبادي نفس الفعل وهو(ترجم) كمادة يشتق منها الاسم (ترجمان)، ويقول:" الترجمان كعنفوان

وزعفران وريهقان: المفسر للسان، وقد ترجمه وترجم عنه، والفعل يدل على أصالة التاء"[٩] . غير أن صاحب اللسان يقر بأن التاء والنون زائدتان في الفعل( ترجم[١٠] وهو ما يفعله الرازي عندما يستعمل الفعل (رجم) كمادة يشتق منها الاسم(ترجمان) والفعل( ترجم) فيقول:" (رجم)و (ترجم) كلامه إذا فسره بلسان آخر، ومنه( الترجمان) وجمعه (تراجم)"[١١].

ونستنتج مما سبق أن تعريف العرب للترجمة، وبصفة خاصة التعريف الذي أورده صاحب اللسان، جمع بين التفسير(paraphrase) الذي يتضمن النقل من لغة إلى أخرى، وبين الترجمة بمفهومها الحديث وخاصة عندما يقول: " يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى أخرى"، وهو المعنى الذي وظفته القواميس الإنجليزية والفرنسية عندما ركزت على الفعل( ينقل) كمفتاح لمفهوم الترجمة

في العصر الحديث . وفي رأينا أن تركيز المعجميين العرب القدامى على معنى ( التفسير) يكتسي أهمية كبيرة لأنه يحيل إلى الغاية الأساسية من الترجمة وهي( الفهم والإفهام) بينما قد يكون مجرد (النقل) عبارة عن ترجمة حرفية قد تكون صحيحة ولكنها لا تؤدي المعنى المطلوب.

**محور نظرية الترجمة:**

لم يظهر التنظير للترجمة سوى في العصر الحديث، وتحديدا بداية من العقد الثاني من القرن العشرين في حين ظل في القرن التاسع عشر أسيرا للأسئلة الكلاسيكية حول الترجمة الحرفية والترجمة الحرة، الترجمة والاقتباس، إشكالية الترجمة الشعرية، وغيرها من القضايا التي لا تشكل في الحقيقة سوى جزءا يسيرا من محور نظرية الترجمة الآن. ولم يهتم اللغويون من قبل بمحاولة إيجاد حلول لمشاكل الترجمة بقدر ما اهتموا بطرح الأسئلة والإشكاليات التي تتعلق بالترجمة وألقوا العبء الأكبر على المترجم الذي اعتبروه المحور الأساسي والوحيد في عملية الترجمة وهو ما أدى إلى تبني كثير من المترجمين لأعمال أدبية لم تكن في الحقيقة من تأليفهم. ولا غرابة فإن النص المترجم كان يضاهي أهمية النص الأصلي ويتمتع باستقلالية تامة عنه وكأنه يوازي أو يتجاوز النص الأصلي وذلك حتى في أوروبا في القرون الوسطى حتى أن أديبا مشهورا مثل"جوفري شوسر Geoffrey Chaucer"[١٢] لم يكن يفرق بين الأعمال التي ألفها والأعمال التي ترجمها[١٣].

وفي القرن العشرين تأثرت الترجمة بعاملين رئيسيين هما: ظهور علم اللسانيات وإدخال الأعلام الآلي في حقل الترجمة[١٤].

وتتميز المجهودات النظرية في حقل الترجمة في العصر الحالي عموما بمحاولة التوفيق بين الأمانة العلمية والقيمة الفنية للأعمال الأدبية المترجمة بصفة خاصة مما أدى بباحث مثل (أوجين نيدا) صاحب كتاب ( البني التركيبية للغة ونظرية الترجمة) وأيضا كتاب (نحو علم الترجمة Toward a science of translation) إلى اعتبار الترجمة فنا بدلا من اعتبارها علما، على خلاف ما يشير إليه عنوان كتابه الأخير[١٥]. وفي رأي (بيتر نيومارك)[١٦] يهتم منظّر الترجمة بكل نوع من أنواع إجراء عملية الترجمة والمتمثلة في التسجيل (اقتراض كلمات، اقتباس، نقل) والترجمة الواسطة، وهي عملية متعارف عليها في المصطلحات الدولية الشائعة، كما يهتم بالترادف اللغوي، أي الترجمة بمقابلات مضبوطة في اللغة الهدف والتحليل التجزيئي الذي تكون له الأولوية بعض الأحيان على حساب الترادف كإجراء لترجمة احتياطية وخاصة عندما تكون الوحدة اللغوية عبارة عن كلمة نموذجية أو الكلمة المفتاح، وأن تكون لها أهمية مميزة في السياق. ويكون الترادف عندئذ قابلا لأن يحتوي على كلمات أقل أهمية في السياق ولا تتصل مباشرة بالفكرة الرئيسية في النص. كما يهتم أيضا بالإبدال، وهو إبدال وحدة نحوية أو لغوية بأخرى. كما يهتم ببعض العناصر الحيوية الأخرى التي نجملها كالآتي:

١-التعويض: ويحدث عندما يُفتقد المعنى أو الوقع الصوتي أو المجاز في جزء من جملة فيُعوض في جزء آخر.

٢-التوافق الثقافي: ويقصد به ترجمة بعض المصطلحات والمفاهيم بما يوافقها في ثقافة اللغة الهدف وهو ما يعني تجاوز المعنى الحرفي أو المباشر لها، مثل ترجمة المصطلحات الخاصة بالشهات والدرجات العلمية.

٣-المعنى التقريبي: وهو محاولة ترجمة مصطلح غير موجود في اللغة الهدف لأنه لا يدخل ضمن المنظومة الثقافية لها. وغالبا ما يوضع المعنى التقريبي بين فاصلتين مقلوبتين. ومن أمثلة ذلك العبارة الفرنسية (promotion sociale ) التي تترجم إلى الإنجليزية ( social advancement ) [١٧].

٤-التعريف: وهو غالبا ما يتخذ شكل جملة اسمية وصفية أو عبارة ذات قيمة نعتية.

٥-التأويل: وهو إسهاب أو ترجمة إضافية حرة لمعنى جملة من الجمل. ويعتبر التأويل مرجع المترجم الأخير بعد استنفاذ الإجراءات والوسائل الأخرى.

٦-التوسع: ويقصد به التوسع اللغوي أو النحوي مثل الفعل المركب في الإنجليزية (taste of) الذي يترجم إلى اللغة الفرنسية عن طريق التوسع فيقال (avoir le gout de)[١٨].

٧-الإيجاز: ويتمثل في اللجوء إلى الترجمة الموجزة إذا وجدت في اللغة الهدف وكانت تؤدي المعنى الصحيح والدقيق الذي تحمله اللفظة أو العبارة الأصلية ومن أمثلة ذلك العبارة الفرنسية (science anatomique) التي نستطيع ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية بلفظة واحدة هي (anatomy)[١٩].

٨-الجمل المتداخلة: تتداخل الجمل الفرنسية الطويلة مثلا مع الجمل الإنجليزية المترابطة في بعض الأحيان. كما تترجم الجملة الألمانية الواحدة أحيانا في جملتين أو أكثر في اللغة الهدف.

٩-إعادة الترتيب أو التنقيح: ويمكن القول بأنها عبارة عن إعادة صياغة لما قد تم ترجمته بسبب وجود أخطاء لغوية أو مطبعية أو ألفاظ دارجة أو فراغا سببه الخط الرديء وذلك في النص الأصلي.

وبالإضافة إلى هذه العناصر يهتم منظّر الترجمة أيضا ببعض القضايا والمشاكل الخاصة مثل الاستعارة والمترادفات وأسماء الأعلام والعبارات الاصطلاحية والأمثال والغموض النحوي والمفرداتي والمرجعي والكليشيه والاقتباسات والعبارات الدارجة والألفاظ الجديدة[٢٠].والترجمة الشعرية والرطانة والمصطلحات العلمية الأساسية والمشتقات والأفعال والأسماء المركبة خاصة في اللغة الإنجليزية والأوائلية[٢١] أو الكلمة المؤلفة من حروف اصطلاحية ( مثل NATO[٢٢] وUN[٢٣] والتمازج الذي يقصد به مزج كلمتين أو أكثر في كلمة واحدة، وهو في اللغة الأوروبية غالبا ما يتم بين كلمات ذات أصل يوناني أو لاتيني، وأخيرا الاهتمام بترجمة المختصرات أو على الأقل إيجاد مرادف لها في اللغات التي لا تحتوي عليها.

- **النزعة العلمية في الترجمة العربية**

**I- في القديم:**

**١- الاهتمام بالترجمة والترجمة العلمية:**

إن تعريف الحضارة نفسه يركز على عنصر العقل كدعامة أساسية. فالحضارة، هي انتصار العقل على الغريزة كما هي انتصار الروح على المادة[٢٤]. وأثناء تصفحنا للتاريخ الثقافي العربي الإسلامي في البدايات الأولى لارتقاء الحضارة العربية نعثر على بعض الإشارات إلى أن اهتمام العرب بالترجمة وتحديدا بالترجمة العلمية، يرجع في الحقيقة إلى مرحلة سابقة على العصر العباسي، على عكس ما يذهب إليه كثيرون. والواقع أن ما شهده العصر العباسي من ازدهار للترجمة والترجمة العلمية لا يعدو أن يكون ثمرة لجهود سابقة بذلت في العصر الأموي. فقد ظهر مشروع ترجمة العلوم الأجنبية – أو العلوم الدخيلة كما كانت تسمى في ذلك الوقت- في العصر الأموي عندما قام الأمير الأموي خليل بن يزيد ، الذي كان مولعا بالكتب المترجمة، بجلب مجموعة من العلماء من الإسكندرية والذين قاموا فيما بعد بغرس البذرة الأولى للترجمة عن اليونانية في العصر العباسي [٢٥]. وكان مشروع الترجمة الذي اكتسي بعدا حضاريا استراتجيا في العصر العباس قد تدعّم بالإشراف الشخصي للخلفاء الذين كانوا في معظم الأحيان من المهتمين والمشتغلين بالعلم مثل المنصور الذي اهتم بعلم النجوم والطب، والرشيد الذي أنشأ دار الحكمة ببغداد، والمأمون الذي اهتم بنقل كتب الفلسفة والمنطق وسائر العلوم. والواقع أن إنشاء دار الحكمة ببغداد كان بمثابة اللبنة الأولى لنهضة علمية عربية اللسان[٢٦]. ويمكن أن نرى في دار الحكمة التي أنشأها الرشيد ببغداد وتعهدها المأمون صورة لمجمع علمي كان قوامه الترجمة والمترجمين للفكر اليوناني والفارسي والهندي مما أسرع بظهور علماء فلاسفة بين العرب، بل بنهضة علمية وفلسفية ضخمة[٢٧]. ويذهب معظم المؤرخين إلى أن الخلفاء في العصر العباسي بالغوا في الاهتمام بالمترجمين الذين كانوا في معظم الأحيان من العراق والشام وفارس والهند واليونان والسريان والنساطرة وما إلى ذلك[٢٨]. ويورد جورجي زيدان عشرات المترجمين ذوي الأصول العربية والأعجمية إلى درجة أن هناك عائلات معروفة توارثت مهنة الترجمة[٢٩]. وقد كان من ثمرات هذا المشروع الضخم أن معظم ما كان معروفا في علوم كالفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والأدبيات عند سائر الأمم المتمدنة في ذلك الوقت قد تم نقله إلى اللغة العربية، ويقدر عدد الكتب العلمية التي نقلت في الفترة الأولى من العصر العباسي بالمئات[٣٠]، هذا بالرغم من أن دراسة اللغات في تلك الفترة لم تكن قد تطورت مثلما هي عليه الآن.

ومن بين أبرز تلك الترجمات العلمية التي وصلتنا نجد:

- كتاب" المجسطي" لبطليموس اليوناني، وهو في علم الفلك والجغرافيا. ترجمه عن اليونانية حنين بن إسحاق.
- كتاب "السياسة في تدبير الرئاسة" في الحكم والإدارة ترجمه يوحنا بن البطريق.
- "المدخل في الطب" ترجمه حنين بن اسحاق.
- "مسائل في الطب للمتعلمين" ترجمه حنين بن اسحاق.

- "منطق أرسطو"" ترجمه حنين بن اسحاق.[٣١]

ويعلق جورجي زيدان على ضخامة ما تم نقله في هذا العصر بقوله :" لو أردنا بسط الكلام في هذه العلوم (يقصد العلوم الدخيلة) وأصولها وموضوعاتها وما نقل منها إلى لساننا، لضاق بنا المقام"[٣٢]. غير أن ما ميز حركة الترجمة هذه هو طغيان الجانب العلمي فيها، ونقصد هنا الجانب العلمي كموضوع وليس كأسلوب، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية الحفاظ على اللغة والثقافة العربية عن طريق عدم الإفراط في الاقتراض واستعمال التقحرة (translitération) بطريقة تحافظ على خصائص اللغة العربية حيث تم استبدال الأصوات الأجنبية بالأصوات العربية الأقرب إليها [٣٣]. وقد أدى هذا على المدى البعيد إلى انجاز نهضة علمية عربية اللسان وإلى بناء حضارة إسلامية ذات خصوصيات محلية[٣٣]والتي تمثل الحضارة العربية المحور الأساسي فيها. ونقصد بالحضارة العربية هنا تلك التي اتخذت من اللغة والثقافة العربية التي كانت سائدة في شبه الجزرة العربية كمقومات أساسية لها.

ويجمع معظم الباحثين على أن العرب تفطّنوا على نحو مبكر إلى خطر الغزو الثقافي على عكس كثير من الأمم الأخرى التي عرفت حضارة لا تضاهيها حضارات أخرى. وجوهر القضية هنا أن العرب" لما أرادوا نشر العلم علقوا ركابهم نقل تلك العلوم إلى العربية ، فذهبت لغة الأمم التي كانت تحت سلطانهم وبقيت العربية"[٣٤]. ونستحضر في هذا السياق إشارة القائد والخطيب الروماني الشهير" شيشرون Cicerone" إلى هذا الموضوع باستعماله لتعبير"لتينة latinisation" [٣٦] النصوص الإغريقية. فالترجمة بالنسبة إليه تكتسي طابعا سياسيا وحضاريا بحيث تعمل على تكريس التفوق والسيادة الرومانية على الشعوب الأخرى[٣٧]. ويذكر جورجي زيدان أمثلة فريدة عن أمم كانت في أوجّ قوتها ، في نفس الوضع الذي كان عليه العرب في أوجّ قوتهم، ولكن هذه الأمم لم تزدهر العلوم بلغتها بل بلغة الأمم التي وقعت تحت سيطرتها. ومثال ذلك القوط وقبائل الجرمان الذين سطوا على مملكة الروم . وعندما استقر الأمر للقوط " حملوا علماء الرومان على التأليف فألفوا لهم الكتب باللاتينية لا بالقوطية، فذهبت هذه اللغة وبقيت لغة الروم بما صارت إليه من الفروع"[٣٨].

ولا غرابة إذا كان كثير من الباحثين من العرب ومن غير العرب قد عبّر عن دهشته من السرعة التي تمّت بها ترجمة ذلك التراث العلمي الهائل الذي كان معروفا في المدنيّات التي سبقت المدينة العربية. يقول جورجي زيدان: "ويُلاحظ أن العرب نقلوا من علوم تلك الأمم في قرن وبعض القرن ما لم يستطع الرومان بعضه في عدة قرون، وذلك شأن المسلمين في أكثر أسباب تمدنهم العجيب"[٣٩].

بينما يعلق الباحث الأمريكي في علم تاريخ الحضارات" رالف لينتون Ralph Linton" : " وهكذا لم تمض إلا قرون قليلة حتى نرى العرب قد استوعبوا النظم التي كانت سائدة في مختلف المدنيات في البلاد التي غزوها"[٤٠]. وفي رأينا أن هذا الاستغراب ينطوي على عدم إدراك لنظرة العرب القدامى للترجمة كأداة لفتح آفاق جديدة للعقل وهو ما يعتبر نزعة عقلية في رؤيتهم للعالم. وقد كان من مظاهر هذه الرؤية أن جاء تعريفهم للترجمة ك"تفسير" وهو لفظ يشير إلى رؤية خاصة إلى الترجمة تتمحور حول عنصرين اثنين وهما:

- أن الأمر يتعلق بترجمة نصوص علمية وهو ما يستدعي عملية الشرح أو التفسير، وذلك على خلاف النصوص الأدبية التي لا تحتاج في الغالب إلى شرح أو تفسير.
- أن الأمر كان يتعلق ب "استيعاب" العلوم وليس مجرد نقلها أو ترجمتها، وهو ما تشير إليه لفظة " تفسير" التي تشير أيضا من هذا المنظور، إلى الرغبة في استثمار تلك المعارف العلمية والاستفادة منها في تحسين ظروف المعيشة.

وما يمكن ملاحظته في هذا السياق أن الترجمة العربية في ذلك الوقت كانت تغذيها حاجة العرب الماسة إلى تلك المعارف العلمية ولم تنطلق من رؤية نظرية تؤكد على أهمية الترجمة ولكن لا تحدد أطر استخدامها والآفاق التي ترنو إليها. ونكتشف أن هذه النزعة العقلية كانت مسيطرة على قطاعات عريضة من المجتمع العربي آنذاك، ويستشهد الباحثان راشد رشدي وجورج عنواتي بفقرة من كتاب" ألف ليلة وليلة" تشير إلى الازدهار الكبير للعلوم في بغداد عندما يصرّح الحلاق بأنه يلمّ بجميع العلوم من طب ورياضيات وكيمياء وهندسة ، وفلسفة وعلم تنجيم وما إلى ذلك[٤١]. ويؤكد المؤلفان على أن الرياضيات بالذات كانت تحتل مكانة مهمة في المجتمع العربي في ذلك الوقت[٤٢]. ويشير "رالف لينتون" أيضا إلى أسباب إقبال العرب على نقل معارف ونظم الحضارات الأخرى بقوله :" وأقبل العرب إقبالا شديدا على الحياة المتمدنة إذ رأوا فيها أنها أكثر راحة لهم من حياتهم القديمة في الصحراء[٤٣]. وفي رأينا أن الترجمة كمشروع حضاري لم ينجح في تاريخ العرب الحديث نظرا لغياب هذا العنصر بالذات: الإحساس بالحاجة إلى الذي هم بصدد ترجمته واقتناعهم التام به . والواقع أن العرب في العصر الحديث لم يكونوا مقتنعين، أو على الأقل متفقين، على أهمية الحضارة الغربية أو حاجتهم للتراث العلمي الذي احتوت عليه وهو ما أدى بهم إلى الانصراف إلى ترجمة الآثار الأدبية الغربية بدلا من الكتب العلمية في عصر النهضة، كما سنتناول ذلك ببعض التفصيل في موضع لاحق (الترجمة العربية في عصر النهضة). وقد لاحظ كثير من الدارسين عدم اهتمام العرب في العصر العباسي بالترجمة الأدبية . يقول جورجي زيدان: " ومما نلاحظه من أمر ذلك النقل أن العرب، مع كثرة ما نقلوه عن اليونان لم يتعرضوا لشيء من كتبهم التاريخية أو الأدبية مع أنهم نقلوا ما يقابلها عند الفرس والهنود (...)[٤٤].

والسبب في ذلك أن أكثر ما بعث المسلمين على النقل رغبتهم في الفلسفة والطب والنجوم والمنطق. وأما التواريخ والآداب فقد كان التراجمة ينقلونها غالبا من عند أنفسهم حبا في إظهار مآثر أسلافهم أو جيرانهم [٤٥].والواقع أن العرب في العصر العباسي كانوا يتعاملون مع الشعوب الأعجمية من مركز قوة ولم يكونوا بحاجة إلى آداب الأمم الأخرى أصلا نظرا لضخامة وتنوع إنتاجهم الأدبي والشعري على الخصوص[٤٦]. لكنهم مع ذلك تفطنوا إلى أهمية العلوم التي لم يكن لديهم عنها سابق معرفة فأقبلوا عليها في غير تردد. ويدحض جورجي زيدان الزعم القائل أن العرب لم يترجموا عيون الأدب اليوناني لأسباب عقائدية، أي بسبب ما ورد فيها من ذكر للآلهة والأصنام، لأنهم في مقابل ذلك ترجموا بعض النماذج الكلاسكية من الأدب الفارسي والتي ورد فيها ذكر تلك الآلهة والأصنام مثل " الشاهنامة"[٤٧].

ولعل تركيز العرب في البداية على ترجمة الفلسفة اليونانية وكذا بعض الكتب المتعلقة بالفكر السياسي والقانوني كان يعكس في واقع الأمر هذا التوجه العلمي والعقلي في نظرتهم إلى الحياة

والكون ذلك أن الفلسفة في تلك الفترة كانت تعني دراسة مختلف المعارف العلمية من فيزياء وكيمياء وبيولوجيا وعلم الفلك وعلم الاجتماع والإدارة وعلم النفس والرياضيات والمنطق علم الأخلاق والموسيقى وسوى ذلك[٤٨].

**٢- الفلسفة أم العلوم:**

والفلسفة التي نشأت " كعلم من ضرورة تكوين نظرة عامة للعالم ولدراسة عناصره وقوانينه العامة، ومن الحاجة إلى منهج عقلي للتفكير والحاجة إلى المنطق"[٤٩]، وقد بلغت درجة من الازدهار في عصر التدوين عند العرب (القرن التاسع والعاشر) أن أصبحت تشكل المشروع الثقافي الرئيسي للمجتمع . يقول زكي نجيب محمود عن تلك الحقبة : " نحن الآن في عصر الفلسفة، فكأنما هو عصر أوشك أن يتحول إلى «عقل» خالص، لا يكاد يصادف شيئا إلا حاول أن يعلله تعليلا يقنعه ويرضيه، بادئا من أبسط مظاهر الطبيعة، ومنتهيا إلى الله ووجوده"[٥٠]. وقد أنجز عن هذا الاهتمام بالفلسفة اهتمام مماثل بالترجمة العلمية منها بصفة خاصة، فقد كان لفيلسوف كبير مثل الفارابي دور كبير في نقل العلوم بالإضافة إلى تبسيطه لفلسفة أرسطو وخاصة ما يتعلق منها بالمنطق على العموم والمنطق البر هاني على الخصوص[٥١].

غير أن مشروع الفارابي الفلسفي في رأي كثير من الدارسين كان له علاقة بالحركية الاجتماعية السائدة في عصره[٥٢]. وأن من أبرز دلالات هذا التوجه لدى الفلاسفة اهتمامهم بالترجمة العلمية حيث تحولت الكتب العلمية التي يقومون بترجمتها إلى أداة فعالة في نشر منهجهم القائم على الملاحظة العلمية والتجريبية للظواهر الاجتماعية والكونية. وهكذا كان دور الفلسفة دائما ." لقد كان للفلاسفة رؤية واضحة وكاملة عن متطلبات العصر والعلم معا. ولهذا قدموا مناهج البحث التي كان يتوق إليها العقل البشري الذي كان أول ما يبحث عنه التحرر، هذا التحرر الذي وجده بواسطة العلم" [٥٣]. وفي الثقافة الغربية الحديثة إشارات متكررة إلى تلك الموهبة التي تميّز بها الفلاسفة والعلماء المسلمين وخاصة منهم ابن رشد، وذلك في جمعهم بين الفلسفة الأرسطوطاليسية والعلم في عصرهم[٥٤]. وفي رأينا أن النزعة العلمية في الترجمة كانت توجها من البداية ولم تكن نتيجة لازدهار العلوم الذي كان في الحقيقة من ثمرات ذلك التوجه.

وإن من أبرز الدلائل على ذلك التوجه العلمي للعرب منذ البداية أن " العلم يبدع فلسفة. وعلى الفيلسوف إذن أن يحوّر لغته لكي يترجم مرونة الفكر المعاصر وحركته. وعليه أيضا أن يحترم هذا الازدواج الغريب الذي يطلب الإعراب عن كل فكر علمي بلغة واقعية ولغة عقلية معا"[٥٥]. وهذا التركيز على عنصر اللغة التي يقصد بها هنا المصطلح والمنهج العلمي ، هو بالضبط ما أخذ به العرب في بداية نهضتهم العلمية عندما أسسوا المدارس اللغوية، كمدرسة الكوفة والبصرة، والذي مهد الطريق للغة العربية لاستيعاب كم هائل من المفردات والمصطلحات المولّدة عن طريق تطوير نظم الاشتقاق، في حين مهّدت نظرة العرب العقلية للوجود إلى تقبّل المفردات الأعجمية التي تم افتراضها بصورة عفوية في معظم الأحيان. ومن جهة أخرى فإن اهتمام العرب المفرط بالرياضيات هو الذي ساعدهم على اكتساب تلك اللغة المعبرة عن العصر والتي أشار إليها "باشلار".

والواقع أن اشتغال العرب بالرياضيات هو الذي قادهم إلى الاهتمام بالترجمة العلمية. فقد كانت هذه الترجمة تزدهر على أيدي علماء الرياضيات المقتدرين أمثال ابن قرّة ( توفي سنة ٩٠١ ميلادية). ولم تكن تلك الترجمة لمجرد الاستفادة النظرية بل كانت بدافع حاجة المجتمع الصاعد إلى العلوم المتصلة بها والتي كانت في تطور مستمر مثل علم الفلك والبصريات (Optiques) وعلم المقاييس. ونستنتج من كل هذا أن علم الرياضيات ساعد كثيرا على ازدهار الفلسفة مع أن الترجمة الفلسفية كانت سابقة على تطور علم الرياضيات. لكن الذي قاد العرب إلى الترجمة الفلسفية إنما كانت نزعتهم العقلية في التفكير- كما أشرنا إلى ذلك في موضع سابق- وهو ما يشير إلى وجود رؤية علمية مسبقة في تعاملهم مع القضايا الفكرية والعلمية والثقافية المتصلة بعصرهم.[٥٦]

والغريب في الأمر أن الأوروبيين لم يتفطنوا إلى الأهمية الكبيرة لعلم الرياضيات في إرساء الأسس المنهجية للعلم بصفة عامة. وقد نبّه "ديكارت" إلى هذه الحقيقة ، ولو في وقت متأخر،بالتأكيد على "أن علم الرياضيات من أدق العلوم، بل هو نموذج في الدقة، فإذا أردنا أن تصل معارفنا في شتى الميادين إلى مستوى هذه الدقة التي تستحق بكل جدارة اسم العلم، فلابد أن نتبع نموذج البحث الرياضي"[٥٧]. ولا غرابة فإن أسس المنهج التجريبي أو العقلي في التفكير والبحث العلمي قد وضعت في العصر العباسي على يد ابن المقفّع، ليصل هذا المنهج إلى قمّته عند ابن الراوندي وجابر ابن حيان ومحمد ابن زكريا الرازي[٥٨]، وذلك قبل أن يعتمده الفلاسفة في أوروبا في عصر النهضة.

وفي رأينا أن النزعة العلمية في الترجمة العربية في العصر العباسي أدت إلى تطور علوم كثيرة مثل علم الميكانيكا والبصريات وعلم الفلك والكيمياء والفيزياء. ولكن من المفارقة القول بأن العرب مدنون في تطورهم العلمي ذاك إلى الفلسفة اليونانية لأن المسألة هنا تتعلق بضرورة وجود نزعة علمية وعقلية تسبق الترجمة والبحث العلمي، وهو ما سيتضح أكثر في موضع لاحق ( الترجمة العربية في عصر النهضة).

**II- في الحديث:**

**١.أوروبا والتراث العلمي العربي:**

إن النزعة العلمية التي ميّزت الترجمة العربية في القديم هي نفسها التي ميّزت الترجمة الأوروبية في عصر النهضة، ولا يمكن أن يُقال في هذا المضمار بأن الأوروبيين تأثروا بالعرب في نزعتهم هذه ولكن الأكيد أنهم استفادوا إلى حد كبر مما خلفه العرب من تراث علمي وفلسفي هائل. وعلى عكس ما قد يظنّه كثيرون من أن حركة الترجمة هذه قام بها الأوروبيون في عصر النهضة والتنوير، فإن ما حدث في الواقع هو أنها كانت سابقة على عصر النهضة، أي أنها بدأت في العصور الوسطى، بل أنها قاربت أن تكون حركة موازية لحركة الإنتاج العلمي في عصر الحضارة العربية. ويقول"إميل برهيه" في محاولة لتحديد تاريخ بدء حركة نقل العلوم العربية إلى اللغات الأوروبية: "منذ أواسط القرن الثاني عشر عكف مجمع من المترجمين في طليطلة، بتشجيع من الأسقف ريموند (١١٢٦-١١٥١م) على نقل (...) المواضيع وأغاليط الفلسفة من العربية ، فنقل جيرار دو الكريموني ( المتوفى سنة١١٨٧م) من العربية" الآثار العلوية" و "السماع الطبيعي" و

"في السماء"و"الكون والفساد"، ناهيك عن الآثار المنحولة مثل " الأثولوجيا" ومقالة في "العلل" ومقالة في "علل خواص العناصر"[٥٩]. ويضيف قائلا: " ونقلت كذلك آثار الشراح العرب (...) وذاعت شهرة الكندي والفارابي وابن سينا وابن جبريل. وفي وسط القرن الثالث عشر كانت تتوفر في باريس جميع شروح ابن رشد، خلا شرح "الأورغانون"[٦٠].

وتجمع معظم المصادر الغربية على أن التراث العلمي العربي كان له أثر حاسم في بعث الحركة العلمية في أوروبا والذي قاد أخيرا إلى النهضة والتنوير. " لنا أن نتصور أثر هذه الاكتشافات الصاعق على العقول النهمة إلى الثقافة الكتبية، التي ما كانت مهيأة لفهمه وللحكم عليه، لأنها كانت تفتقر إلى الحس التاريخي اللازم لوضعه في إطاره، ولأنها لم تكن تعرف أرسطو إلا من خلال ترجمات كانت حرفية، على عادة ذلك العصر"[٦١].وفي هذا التقييم العام للفلسفة الإسلامية من جانب الباحث الفرنسي المعاصر" برهيه" نتوقف عند نقطتين أساسيتين هما:

١.أن النهضة الأوروبية مدانة بقسط كبير للحضارة العربية الإسلامية، وهو ما جعل الأوربيين أنفسهم يلقبون فيلسوفا مثل الفارابي بأرسطو الثاني[٦٢]

٢.أن الترجمة العربية للفلسفة اليونانية خصوصا تجاوزت بكثير في دقتها وموضوعيتها وتفسيرها تلك الترجمة التي كانت سائدة في أوروبا في القرون الوسطى.

**٢.الترجمة العربية في عصر النهضة:**

إن أبرز ما يُلاحظ على الترجمة العربية في عصر النهضة هو طغيان الطابع الأدبي والفني عليها، ونقصد هنا الأدب كموضوع وليس كأسلوب.أما فيما يخص الترجمة العلمية فقد جاءت متأخرة وهو ما أحدث فراغا كبيرا في مشروع التنمية والتحديث الذي تبنّته بعض الأنظمة العربية- ولا نقول المجتمعات العربية- في تلك الفترة.كما أحدث هذا الفراغ أيضا بلبلة في مناهج التدريس ووسائل التحصيل العلمي لأن اللغة العربية كانت تفتقر إلى المصطلحات العلمية الجديدة وخاصة تلك التي ظهرت في أوروبا في الفترة نفسها. وتعود أسباب ذلك إلى عدم إقبال العرب على الترجمة العلمية- كما فعل آباؤهم من قبل- وذلك قبل الخوض في المشروع العلمي والحضاري الشامل (تدريس العلوم، البحث العلمي، توظيف العلم في النشاط الاقتصادي والترقية الاجتماعية، الخ). وقد كان بإمكان هذه الترجمة العلمية تعريب المصطلحات العلمية، وهو ما حدث فعلا ولكن على نحو متأخر( ظهور المجامع اللغوية)، الذي سيمكن من تدريس العلوم الحديثة والسماح للمجتمع بالتعامل معها بتلقائية ويسر. وما يمكن قوله في هذا السياق هو أن الذي حدث كان عكس هذا تماما.

وتشير بعض الإجراءات البيداغوجية التي اعتمدت في مصر في عهد محمد علي إلى غياب تصور موضوعي وشامل لحركة التحديث والتطوير. يقول جورجي زيدان عن كيفية إلقاء الدروس الطبية: "كان المعلم يأتي إلى الصف ومعه المترجم، فيشرح المعلم درس ذلك اليوم والمترجم يتلو هذا الدرس بالعربية على التلاميذ وهم يكتبونه في دفاترهم"[٦٣]. فالخلل هنا أن يتم تكوين المترجم دون المدرس، وينمي هذا عن استخفاف بفروع العلم المختلفة والاهتمام بعنصر اللغة في موقعها المعزول عن العلوم البحتة. ويعني هذا أيضا أن اللغة تحولت من مجرد وسيلة للتعبير عن الواقع والعصر، كما كانت عند العرب القدامى، إلى غاية في حد ذاتها. وليس أقل دليل على استخفاف

العرب في هذه الفترة بالترجمة العلمية هو لجوءهم إلى البعثات العلمية[٦٤] كحل لمشكلة الإطارات العلمية، فهم فضلوا أن يأتي هذا الحل من الخارج بدلا من أن ينبثق من الداخل. ولم يكن هذا الانبثاق ليحتاج دعما أكثر من مجرد تشجيع لحركة الترجمة العلمية.

وقد كان من نتائج غياب هذا المشروع للترجمة العلمية أن غزت اللغات الأجنبية المجتمع العربي بذريعة أن اللغة العربية لم تعد قادرة على استيعاب مصطلحات العلوم الحديثة. وقد اتخذ هذا الغزو طابعين أساسيين هما:

١.غزو غير مباشر روج له الأوروبيون أنفسهم بمساعدة بعض المثقفين العرب بدعوى أن اللغة والثقافة العربية عموما لم تعد قادرة على استيعاب متطلبات العصر. ومن الأمثلة البارزة على هذا النوع من الغزو ما قام به بعض الأساتذة والمدرسين الأجانب الذين استقدمهم محمد علي في مصر. وقد بلغت هذه الظاهرة ذروتها عندما استقدمت الحكومة المصرية في سنة ١٨٩٠ مستشارا انجليزيا لإصلاح نظام التعليم في مدرسة الطب فكان أول ما قام به هذا المستشار هو أن جعل التعليم فيها باللغة الإنجليزية[٦٥].

٢.غزو مباشر تمثل في فرض اللغة والثقافة الأوروبية على المجتمع العربي مثلما حدث للبلدان التي تعرضت للاستعمار الفرنسي مثل الجزائر حيث أدى تعميم الفرنسية إلى طمس معالم الشخصية الوطنية وتقليص انتشار اللغة العربية.

والواقع أن الذي ساعد على تثبيت هذا الغزو كأمر واقع هو الصدمة التي حدثت للعرب في احتكاكهم الأول بالحضارة الغربية وهو ما أدى إلى تشتت أفكارهم وفقدان الثقة بأنفسهم نتيجة افتقارهم للوعي بأهمية تراثهم العلمي القديم في سياق تاريخي تميّز باستيلاء المستشرقين على ذلك التراث واتخاذه أحيانا كأداة لإحكام قبضتهم على البلدان العربية. وقد انجر عن هذه الصدمة بروز نظريتين متعارضتين للحضارة الغربية، إحداهما تدعو إلى تبني هذه الحضارة على نحو شامل والأخرى تدعو إلى رفض هذه الحضارة جملة وتفصيلا. ولم يبرز التيار التوفيقي الذي أصبح سائدا الآن إلا في مراحل متأخرة من النهضة العربية وهي مرحلة إنشاء المجامع اللغوية بداية من العقد الثاني من القرن العشرين[٦٦].

ويعتبر كتاب رفاعة رافع الطهطاوي"تخليص الإبريز في تلخيص باريز" من النصوص الأدبية والنثرية عموما[٦٧] التي تصور بدقة ما حدث للمثقف العربي في تلك الفترة في أول احتكاك له بالحضارة الغربية. ويبدو الطهطاوي وهو المثقف الأزهري التكوين والثقافة، منبهرا إلى أبعد حد بالثقافة الفرنسية، وقد تجلى ذلك الانبهار في أوضح صوره في تعامله مع الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية. فقد غلب الاقتراض على محاولة ترجمته لتلك المفردات[٦٨] وهو ما يدل على غياب مشروع للترجمة العلمية لده قبل سفره إلى فرنسا. وقد تفطن الطهطاوي نفسه إلى ذلك عندما عاد إلى وطنه فأنشأ مدرسة اللغات التي لعبت دورت كبيرا في بعث مشروع الترجمة العلمية الحديثة التي ساهم فيها الطهطاوي بقسط وافر. لكن مشروع الطهطاوي ظل معزولا عن حركية المجتمع العربي آنذاك لأن الانشغال الأول للمجتمع العربي كان يتمثل في الصراعات السياسية

الداخلية منها أو الخارجية. وعلى هذا الأساس بقيت حركة النهضة والتحديث التي بادر إليها محمد علي" حركة بيروقراطية وفوقية عاجزة عن تعبئة الطاقات العربية الفاعلة في تلك الفترة"[٦٩].

**٢.ظهور مجامع اللغة العربية:**

كان لابد إذن من أن ينتظر العرب إلى غاية العقد الثاني والثالث من القرن العشرين ليستفيدوا من مشروع متكامل للترجمة العلمية. وقد عظمت في عيونهم مهمة ترجمة وتعريب العلوم الأوروبية الحديثة لكثرتها وضخامة المصطلحات المستحدثة فيها. وقد جاء إنشاء مجامع اللغة العربية نتيجة لوعي اللغويين والباحثين العرب بعدم جدوى المبادرات الفردية المعزولة التي كان من الممكن أن تحول مجرى الأمور لصالحهم لو أنها جاءت في فترة متقدمة من التاريخ العربي الحديث. وتدلنا تجربة العرب في القديم على أهمية الترجمة العلمية من جهة وضرورة وجود إطار إداري وإشراف فعلي من طرف ذوي السلطة والنفوذ في المجتمع. وقد تكررت هذه العملية عندما أنشأت معظم المجامع اللغوية العربية الحديثة بمراسيم وزارية وحكومية واعتبارها تابعة لمؤسسات الدولة وتحت إشرافها الإداري الفعلي. والمثير للانتباه في أمر هذه المجامع اللغوية العربية الحديثة[٧٠]أن المهمة الأساسية التي أخذتها على عاتقها تتمثل بالدرجة الأولى في بعث الترجمة العلمية سواء كان ذلك بطريقة مباشرة مثلما هو الحال بالنسبة لسن قواعد جديدة لنظم الاشتقاق الخاصة باللغة العربية لإكسابها تلك المرونة التي تمكنها من توليد المفردات والمصطلحات التي يفرضها العصر.

والإشكال الرئيسي التي تواجهه المجامع اللغوية العربية في الوقت الراهن يتمثل في غياب تنسيق فعلي بينها لتجنب طغيان الترادف اللغوي الذي يضعف اللغة من وجهة نظر معجمية ولسانية. ولم يواجه العرب القدامى مثل هذه المشاكل لأن مشروع الترجمة العلمية كان مشروعا عربيا شاملا ولم يكن مشروعا إقليميا مثلما هو الحال بالنسب للمجامع اللغوية العربية الحديثة. والإشكال الآخر الذي تواجهه هذه المجامع والذي نعتبره نتيجة مباشرة لغياب مشروع الترجمة العلمية في عصر النهضة العربية يكمن في ضعف الإقبال على استعمال المصطلحات العلمية التي تقترحها هذه المجامع على الباحثين وذوي الاختصاص وأيضا ضعف إقبال المجتمع العربي على تداول الألفاظ الحضارية التي تقترحها أيضا هذه المجامع على نحو أشمل لأنهم اعتادوا على افتراض الألفاظ الأجنبية في الفترات السابقة عندما كانت تلك البدائل غير متوفرة.

وكمحاولة للخروج بنتيجة من هذا البحث الذي نتوخى منه أن يكون نقطة انطلاق لبحوث أخرى تحيط بالجوانب الأخرى لهذا الموضوع الشائك فإننا نؤكد على أن النزعة العلمية في الترجمة العربية القديمة أفرزها انبعاث فكري وعلمي أخذت بوادره في الظهور عند الفقهاء المسلمين الذين اختلفوا في تفسر القرآن والحديث وفي سن مختلف القوانين الفقهية وهو ما أدى بهم إلى البحث عن مناهج جديدة في البحث العلمي وطرائق القياس العقلي . وقد بلغت هذه النزعة ذروتها عند علماء الكلام بسبب الحرية التي تناولوا بها ذات القضايا من منظور فلسفي وعلمي. وعلينا هنا أن نأخذ في الحسبان أن هذه الحركة العلمية كانت رغم بساطتها في البداية، سابقة على الترجمة العلمية وهي بذلك تعتبر العامل الرئيسي الذي هيأ العقل العربي آنذاك لأن يضطلع بمهمة الترجمة العلمية كخطوة تالية في طريق الارتقاء العلمي والحضاري للمجتمع العربي ككل.

والذي لا شك فيه أن الجمود الفكري الذي يعبر عنه في أدبيات الفكر العربي المعاصر بالانحطاط والذي ساد معظم أقطار الوطن العربي بداية من القرن الرابع عر الميلادي إلى غاية أعتاب القرن العرين هو الذي أدى إلى تكريس ثقافة مضادة أو مناهضة للعقل، ثقافة تغازل كل ما هو أدبي بالمعنى التقليدي، أي الأدب كسلسة من المتاهات والألغاز اللغوية العويصة . وقد ترتب عن ذلك على المدى البعيد غياب كامل للرؤية العلمية والعقلية للواقع فكان من نتيجة ذلك أن نظر العرب إلى الحضارة الغربية عند احتكاكهم الأولي بها على أنها مجموعة من اللغات يجب تعلمها بأي شكل من الإشكال كما تشير إلى ذلك مسألة تكوين المترجمين بالمعنى اللغوي المحض، دون العلماء والباحثين، منذ عهد محمد علي إلى الآن.

**الهوامش :**

*البريد الالكتروني : muquarabat@yahoo.com

(١) Guillemin –Flescher, Traduction , in Encyclopaedia Universalis, France 1997.

(٢) بنظر مثلا مادة (version) في قاموس " المنهل" للدكتور سهيل إدريس، دار الآداب، بيروت ١٩٩٧.

(٣) ينظر مادة ( king james version) في Webster's new world dictionary of the American : language, USA 1975.

(٤) ينظر مادة (translate) في:
Webster's new world dictionry of the americanlanguage, op.cit.
The wordsworth concise english dictionary, London 1994.
The reader's digest oxford complete wordfinder, London 1994.

(٥) ينظر مادة (traduire) في :
Le Nouveu Petit Robert de la langue française, Paris 1995.
Le maxidico, dictionnaire encyclopédique de la langue française, Paris 1997.
Encyclopédie hachette multimédia, France 1998.

(٦) guillemin – flescher,op. cit.

(٧) ينظر مادة (ترجم) في:
ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني عشر، دار صادر، بيروت (د.ت). ص٦٦.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) ينظر نفس المادة في:
محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت ٢٠٠٥. ص١٠٨٢.

(١٠) لسان العرب،ج١٢، ص٦٦..

(١١) ينظر مادة(رجم) في:
محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٦. ص١٠٠.

(١٢) شاعر انجليزي كلاسيكي (١٣٤٣-١٤٠٠) من أشهر أعماله: حكايات كانتربري The Canterbury tales.

(١٣) guillemin-flescher,op.cit.

(١٤) ينظر تفصيل ذلك في المصدر نفسه.

(١٥) guillemin-flescher,op.cit.

(١٦) تعتبر المعلومات التالية والمتعلقة بنظرية الترجمة ترجمة وتلخيصا لأهم فصل في كتاب" اقترابات من الترجمة Approaches to translation ل"بيتر نيومارك p.newmark" وهو فصل بعنوان:" محور نظرية الترجمة?What translation theory is about . . ينظر:

Peter Newmark,Approaches to translation, State University of New York Press, 1981. p.30-36.

(١٧) وتترجم إلى العربية بـ ( الترقية الاجتماعية).

(١٨) تصعب ترجمة هذا الفعل المركب إلى اللغة العربية والترجمة التقريبية هي (له رائحة كذا).

(١٩) لهذه اللفظة معنيان متقاربان ولكن غير متطابقين هما :١.علم التشريح ٢. تشريح.

(٢٠) الألفاظ الجديدة هي تلك التي تدخل حيز الاستعمال أو التداول في لغة معينة ولم تكن موجودة أو معروفة من قبل. ويتعلق الأمر بصفة خاصة بالألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية والألفاظ العامية وعادة ما تخصص قواميس لهذه الألفاظ في اللغات الحية مثل الإنجليزية والفرنسية وذلك قبل إدماجها في القواميس اللغوية.

(٢١) الأوائلية: بالفرنسية (sigle) وبالإنجليزية (acronym) وتسمى أيضا " اللفظة الأوائلية": هي لفظة مكونة من أوائل حروف كلمات أخرى. وقد ترجمها صاحب المنهل بـ "صدر الكلمة" أو "الشعار": وهي ترجمة غير دقيقة. ومن أمثلة اللفظة الأوائلية في اللغة الإنجليزية نجد لفظة (NATO) التي وردت في النص والتي هي اختصار لـ ( North Atlantic Treaty Organization ) والتي تترجم إلى العربية بـ ( منظمة حلف شمال الأطلسي): وهي بالفرنسية (OTAN) اختصارا لـ ( Organisation du Traité de l'Atlantique Nord) . ينظر هاتين المادتين في ( المنهل) لسهيل إدريس و(المورد) لمنير البعلبكي. كما ينظر تناولنا إلى هذا الموضوع في بحث مستقل ( ملاحظات حول القواميس مزدوجة اللغة: إنجليزي عربي وفرنسي عربي نموذجا) والذي سينشر قريبا.

(٢٢) ينظر شرحنا لهذه الكلمة أعلاه.

(٢٣) UN: هي اللفظة الأوائلية لـ (United Nations) أو بالعربية ( الأمم المتحدة).

(٢٤) ينظر هذا التعريف في مادة:civilization" في: Compton's interactive encyclopedia, USA 1995.

(٢٥) Chiekh Bouamrane et Louis Gardet, Panorama de la pensée islamique, Sindbad, Paris 1984. p. 228.

(٢٦) على ما أصبح عليه الحال اليوم حيث أصبحت تكتب معظم البحوث في العلوم التكنولوجية والطبية باللغة الأجنبية.

(٢٧) الدكتور شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية في خمسين عاما، ص٦-٧.

(٢٨) ينظر مثلا: جورجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء الثاني،ص٤٨.

(٢٩) ينظر المصدر نفسه، ص٤٨-٤٩-٥٠.

(٣٠) جورجي زيدان، المصدر السابق، ج٢، ص٥٠.

(٣١) المصدر نفسه،ص٣٤-٣٥.

(٣٢) ينظر مثلا: جورجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء الثاني،ص٣٤.

(٣٣) كما تكاد اللغات الأجنبية، وبصفة خاصة الفرنسية والإنجليزية، تعوض اللغة العربية في الوقت الراهن على مستوى البحث العلمي والأدبي على السواء حيث تثبت معظم المصطلحات العلمية بلغتها الأجنبية.

(٣٤) نختلف هنا مع بعض الباحثين الذين يذهبون إلى أن الحضارة الإسلامية كانت عربية اللسان، وفي رأينا أن هذا الحكم نابع من جهل الباحثين للتراث العلمي والأدبي الضخم الذي كتب بلغات أخرى منها الفارسية والتركة بصفة خاصة، ينظر إشارة أحمد أمين إلى هذا الموضوع في سيرته الذاتية"حياتي".

(٣٥) جورجي زيدان، المصدر السابق،ج٢،ص٣٤-٣٥.

(٣٦) تعني لفظة (latinisation) إضفاء الطابع الثقافي الحضاري اللاتيني على مجتمع معين، مثل الترجمة إلى اللاتنية أو استعمال اللغة اللاتنية أو بعض خصائصها،إلخ.

(٣٧) guillemin-flescher,op.cit

(٣٨) جورجي زيدان، المصدر السابق،ج٢،ص٣٤

(٣٩) المصدر نفسه، ص٥٢.

(٤٠) رالف لينتون، شجرة الحضارة، ترجمة الدكتور أحمد فخري، الجزء الثاني،ص٤٣٩.

(٤١) Rached Rochdi et George Anawati,L'islam, Les mathématiques et les autre sciences,in Encyclopaedia Universalis, op.cit.
(٤٢) المصدر نفسه.
(٤٣) رالف لينتون، المصدر السابق، ص٤٣٩.
(٤٤) جورجي زيدان، المصدر السابق،ج٢،ص٥١.
(٤٥) جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء الثاني،ص٥١.
(٤٦) وما يدعو إلى الغرابة في هذا السياق أن كثيرا من نقادنا العرب في العصر الحديث يلقون باللائمة على العرب القدامى لأنهم لم يترجموا الملاحم والمسرحيات اليونانية، كما يلومون الكتاب في عصر النهضة لأنهم لم يكتبوا الرواية . والواقع أن المجتمع العربي قديما وحديثا لم يكن مهيأ لتذوق بعض الأجناس الأدبية الغربية أو الأجنبية عموما. ومن الدلائل على ذلك أن ترجمة الملاحم اليونانية في العصر الحديث لم يلق أي ترحيب من جانب القراء بصفة خاصة، على غير ما هو عليه في مجتمعات أخرى. ونفس الشيء يقال عن جنس أدبي مثل الرواية أو المسرحية الذي لا يمكن مقارنة انتشاره وجماهيريته في الغرب بانتشاره في المجتمع العرب. ولعل في التعبير النقدي الشائع" الرواية ملحمة برجوازية" إشارة إلى المحيط الاجتماعي والحضاري الذي يمكن أن تترعرع فيه بعض أشكال التعبير الأدبي والفني.
(٤٧) جورجي زيدان، المصدر السابق،ج٢،ص٢٥.
(٤٨) ينظر مادة (philosophy) في Compton's interactive encyclopedia, op.cit
(٤٩) الموسوعة الفلسفية، إشراف روزنتال و ب، بودين، ترجمة سمير كرم، مراجعة د صادق، جلال العظم، وجورج طرابيشي، ص٣٣٦.
(٥٠) د. زكي نجيب محمود، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ص٢٩٥.
(٥١) أبو نصر الفارابي، المدينة الفاضلة ومختارات من كتاب الملة، تقديم عبد الرحمان بوزيدة، ص٩.
(٥٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٥٣) د. حسن ملحم، التفكير العلمي والمنهجية، ص٤٣.
(٥٤) ينظر مثلا مادة (philosophie) في : Encyclopédie Mcrosoft Encarta, USA 1999.
(٥٥) غاستون باشلار، الفكر العلمي الجديد، ترجمة، الدكتور عادل العوا، تقديم جيلالي اليابس، ص٣.
(٥٦) حسن ملحم، المصدر السابق، ص٤٦.
(٥٧) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٥٨) أدونيس، الثابت والمتحول، الكتاب الثاني، تأصيل الأصول،ص٧٤.
(٥٩) إميل برهيه، تاريخ الفلسفة، ترجمة جورج طرابيشي، الجزء الثالث، ص١٤٩.
(٦٠) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٦١) المصدر نفسه، ص١٤٩-١٥٠.
(٦٢) ينظر مادة "El-faarabi" في The American Concise Encyclopedia, USA 1998.
(٦٣) جورجي زيدان، المصدر السابق،ج٤،ص٥٠.
(٦٤) المصدر نفسه، ص٥٤،٥٣.
(٦٥) جورجي زيدان، المصدر السابق،ج٤،ص٥٣-٥٤.
(٦٦) أنشأ أول مجمع للغة العربية، وهو مجمع دمشق في ١٩١٩.
(٦٧) يثير تصنيف هذا الكتاب إشكالا يتعلق بجنسه الأدبي الذي يتراوح بين السيرة الذاتية وأدب الرحلات وأدب التقارير( لأن الكتاب في الأصل عبارة عن شبه تقرير قدمه الطهطاوي لولي نعمته محمد علي سلطان مصر في ذلك الوقت). وقد زاد من هذا التعقيد أن الكتاب لم يكتب بمبادرة من المؤلف بقدر ما كان شبه تقرير عن رحلته ومشاهداته في فرنسا.
(٦٨) ونورد هنا بعض النماذج من تلك الألفاظ المفترضة والتي توحي بأن الطهطاوي كان واقعا تحت تأثير الصدمة التي أحدثها احتكاكه الأول بالحضارة الغربية وهو ما جعله يعتقد بأن الألفاظ الحضارية الدالة على نمط الحياة الغربية لا يمكن ترجمتها إلى العربية حتى وإن كان المدلول موجودا في النمط الحضاري العربي.

ـــ إفتراض لفظة (السبكتاكل spectacle) ولم يفكر في ترجمتها فحسب بل ذهب إلى حد القول بتعذر شرحها:"وأمرها غريب ولا يمكن معرفتها بوصفها بل ولابد برؤيتها بالعين".
رفاعة رافع الطهطاوي تخليص الإبريز في تاريخ باريز، تقديم الصغير بن عمار، ص٦٧.
ـــ افتراض لفظة (الأنستتوت L'institut) (ص٢٩) ولفظة ( بوالا Poêle) أي المدفأة (ص٨٢).
ـــ افتراض لفظة ( البلوار Boulevard)(ص٩١) وبالرغم من أنه يشير إلى ما ينطبق على هذا المدلول في مصر، إلا أنه لا يستعمل ذلك الدال كمقابل للفظة الأجنبية . يقول :" وعلى منوالها بطريق شبرا وفي أبي زعبل وجهاد آباد" (ص٩١).
ـــ افتراض لفظة (اللكتور Les électeurs) مع أن ترجمها إلى العربية في نفس السياق عندما قال:" ينتخبهم المنتخبون الذين يقال لهم اللكتور"(ص١٣٤).
(٦٩) برهان غليون، اغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، المركز الثقافي العربي، بيروت ٢٠٠٦.ص٦.
(٧٠) نشير في هذا المضمار إلى أن المجامع لا تكون بالضرورة لغوية، بل تكون في معظم الأحيان علمية شاملة ، وإذا كانت أكاديمية أفلاطون تمثل أول مجمع علمي في التاريخ فإن ذلك لا يعني بأنها مجمع فلسفي لأن الفلسفة في العصور القديمة كانت بمثابة العلوم في العصر الحديث. ولكنه نظرا لظروف معينة فإن المجامع تتخذ أحيانا طابعا لغويا مثلما هو الحال بالنسبة للمجامع العربية الحديثة.

## قائمة المصادر والمراجع

### أ.باللغة العربية


١. أبو نصر الفارابي، المدينة الفاضلة ومختارات من كتاب الملة، تقديم عبد الرحمان بوزيدة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر ١٩٩٠.
٢. أدونيس، الثابت والمتحول، الكتاب الثاني، تأصيل الأصول، ط٢، دار العودة، بيروت ١٩٧٩.
٣. إميل برهيه، تاريخ الفلسفة، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت ١٩٩٢.
٤. برهان غليون، اغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، المركز الثقافي العربي، بيروت ٢٠٠٦.
٥. جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني عشر، دار صادر، بيروت (د.ت).
٦. جورجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر ١٩٨٨.
٧. حسن ملحم، التفكير العلمي والمنهجية، دار دحلب للنشر، الجزائر.
٨. رالف لينتون، شجرة الحضارة، ترجمة الدكتور أحمد فخري، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر ١٩٨٩.
٩. زكي نجيب محمود، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، دار الشروق، القاهرة .
١٠. سهيل إدريس ، المنهل: قاموس فرنسي ـ عربي، ، دار الآداب، بيروت ١٩٩٧.
١١. شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية في خمسين عاما، القاهرة (ب.ت).
١٢. غاستون باشلار، الفكر العلمي الجديد، ترجمة، الدكتور عادل العوا، تقديم جيلالي اليابس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر .
١٣.محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت ٢٠٠٥.
١٤.محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٦.
١٥.منير البعلبكي، قاموس المورد إنجليزي ـ عربي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٥.
١٦.الموسوعة الفلسفية، إشراف روزنتال و ب، بودين، ترجمة سمير كرم، مراجعة د صادق، جلال العظم، وجورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان.

ب.باللغة الأجنبية :
1.Chiekh Bouamrane et Louis Gardet, Panorama de la pensée islamique, Sindbad, Paris 1984.
2. Compton's interactive encyclopedia, USA 1995.
3.Encyclopédie Mcrosoft Encarta, USA 1999.
4.Guillemin –Flescher, Traduction , in Encyclopaedia Universalis, France 1997.
5. Encyclopédie hachette multimédia, France 199٨.
6. Le Nouveau Petit Robert de l langue française, Paris 1995.
7.Le maxidico, dictionnaire encyclopédique de l langue française, Paris 1997.
8. Peter Newmark,Approaches to translation, State University of New York Press, 1981.
9. Rached Rochdi et George Anawati,L'islam, Les mathématiques et les autre sciences,in Encyclopaedia Universalis, France 1997.
10.The wordsworth concise english dictionary, London 1994.
11.The reader's digest oxford complete wordfinder, Oxford, London 1994.
12. The American Concise Encyclopedia, USA 1998.
13.Webster's new world dictionary of the american language, USA 1975.